قربان التاريخ شهادة حية لشاعر عراقي عاش التحولات المأساوية في الحياة العراقية المعاصرة.. شهادة تأرجحت بين قيام الدكتاتورية وهيمنتها على مجمل مفاصل الحياة والفكر بقوة الحديد والنار وبين سقوط رمز هذه الدكتاتورية وصنمها.هذا الكتاب يوميات مراقبة للقمع والمصادرة والموت مثلما هو رصد لحركة الشعر والفكر. هو قراءة امتزج فيها السياسي بالشعري عبر يوميات قامت بوصف ومن ثم فهم حوادث مأساوية اشبه بفصل كابوسي من رواية دموية حدثت في عالم آخر غير عالمنا.

المدى الثقافي

قربان التاريخ
العراق،من لهب العقل إلى رماد النفط

صلاح حسن

الفصل الرابع

جوائز ومرتدون

بعد ثلاثة اشهر اختير قسم منا للسكن في مدينة رازفيك، احدى ضواحي العاصمة السياسية لاهاي، والقسم الآخر إلى مدينة هنغلو على الحدود الألمانية. لقد كنت سعيد الحظ بانتقالي إلى رازفيك لأنها مدينة صغيرة وهادئة وفيها بارك كبير وبحيرات وملاعب للاطفال. كان علينا مواصلة تعلم اللغة في المدينة الجديدة ولكنني لم أكن جادا في الدراسة، لأنني كنت أظن أنني لن أتعلم اللغة الهولندية طوال عمري. في لاهاي كانت هناك مكتبة عامة كبيرة جدا وتحتوي كمية كبيرة من الكتب بشتى اللغات ومنها اللغة العربية. وقد أصبحت هذه المكتبة ملاذي وحلت مشكلة كبيرة بالنسبة لي فيما يتعلق بندرة الكتب العربية، وقد وجدت فيها كتبا منتقاة في فروع الأدب والفكر والفلسفة بقيت أتغذى عليها حتى هذه اللحظة، فالمكتبة تشتري اغلب العناوين المهمة التي تصدر بالعربية بين وقت وآخر. ذات يوم عثرت على كتاب يتحدث عن علاقة المملكة الهولندية بالبلدان العربية، وقد دهشت حين عرفت أن هناك أكثر من ألف كلمة هولندية ذات اصل عربي دخلت إلى اللغة الهولندية عن طريق الحضارة العربية في الأندلس والمستعمرات في اندنوسيا المسلمة وشركة الهند الشرقية: سكر، كحول، كيمياء، الجبر، أدميرال، مخازن، غزالة، قهوة الخ... (الهولنديون أول من عرف القهوة وأول من نقلها إلى أوربا عن طريق ميناء المخا اليمني). من المؤسف أننا اليوم لا نعثر في اللغات الأوربية إلا على الكلمات العربية التي توحي بالعداء والتخلف والإرهاب مثل حجاب وانتفاضة وجهاد.

بعد اطلاعي على هذا الكتاب نمت لدي رغبة حقيقية في تعلم الهولندية وكشف أسرارها فبدأت باقتناء القواميس، واكتشفت أن كل اللغات الجرمانية متجاورة، بأستثناء اللفظ الذي يغير قليلا من نطق الكلمة، والقواعد التي لا تخلو من الشواذ في أية لغة (توجد في اللغة الهولندية بعض السياقات التي لا تحكمها قاعدة ويتحتم على متعلم الهولندية حفظها عن ظهر قلب). لم يكن هذا الكتاب مصدر الالهام الوحيد، فقد قرأت ذات يوم إعلانا في منظمة مساعدة اللاجئين عن مسابقة شعرية بمختلف اللغات تقيمها مؤسسة (دنيا) الثقافية في مدينة روتردام. أرسلت لهم قصيدة ونسيت الموضوع. بعد ثلاثة اشهر وصلتني رسالة طويلة منهم لم استطع استيعابها لاول وهلة، وبعد الاستعانة بالقاموس فهمت ان لجنة التحكيم اختارت خمسة شعراء للفوز بالجائزة وانا واحد منهم، وينبغي ان تبقى هذه المعلومات سرية حتى اعلان النتائج. لكنني بقيت مترددا.. ولكي اقطع الشك باليقين اتصلت بأحد العاملين في منظمة مساعدة اللاجئين وذهبت لكي اريه الرسالة. كان يقرأ الرسالة وكانت اساريره تنفرج رويدا رويدا، وبعد ان انتهى من قراءتها قال لي مبروك.. لقد اصبحت مشهوراً كان ذلك في بداية عام ١٩٩٦!

لم تكن جائزة (دنيا) كبيرة او مهمة جدا على الصعيد الابداعي او الاعلامي، ولكنها نفسيا كانت مهمة الى درجة كبيرة، فقد اسهمت فيما بعد بتخفيف حدة وطأة المنفى علي. لم يكن قد مر علي في هولندا اكثر من تسعة اشهر حين حصلت عليها، وقد كانت نقطة انطلاق للدخول في حوار مع الثقافة الجديدة في المنفى، حيث بدأت قصائدي تترجم الى الهولندية مع دعوات للمشاركة في امسيات شعرية الى جانب شعراء من مختلف الثقافات. خلال هذه الفترة اسست مع الصديق الشاعر ناصر مؤنس (غاليري اوروك للثقافة والفنون) في محاولة لمد الجسور بين الثقافة العربية والثقافة الهولندية، وبالتحديد الثقافة العراقية المجهولة تماما بالنسبة للهولنديين الذين لا يعرفون عن العراق سوى اسم دكتاتوره الطاغية صدام حسين.

بدأنا نشاطاتنا في غاليري اوروك في غرفة صغيرة جدا (مطبخ) وجهاز كومبيوتر عتيق للغاية تبرعت به منظمة اللاجئين، وكنا نصنع الدعوات يدويا وباللغتين العربية والهولندية ننسخها، وقد اقمنا عددا من النشاطات الشعرية والموسيقية والمعارض التشكيلية. غالبا ما كان الحضور عراقيا، مع عدد من الهولنديين العاملين في المنظمات الانسانية. ومع مرور الزمن بدأ جمهورنا يزداد واخذت نشاطاتنا تكتسب جدية. وبدلا من اقامة النشاطات كلها في قاعة منظمة اللاجئين، بدأنا بالعمل المشترك مع المنظمات الهولندية الاخرى، مثل المكتبات والمتاحف. كان طموح الصديق الشاعر ناصر مؤنس ان يؤسس دار نشر، فقرر ان يترك العمل في الغاليري وبدأ بتنفيذ مشروعه. بعد ذلك حصل تحول في عمل الغاليري وقررنا ان نحوله الى جمعية ثقافية تتألف من اربعة اشخاص هم باشيا دي ليفده وبيرتس واحمد الركابي وانا وحملت اسم (جمعية أور).

عن طريق جمعية اور تكثفت اتصالاتي بالمثقفين الهولنديين وتوطدت مع عدد منهم، فقد تعرفت على المستعرب الدكتور كيس نايلاند الذي كان قد ترجم عددا من نصوصي اول مرة الى الهولندية. كنت ابعث له النصوص الجديدة التي اكتبها بين فترة واخرى واصبح عنده ما يكفي لاصدار مجموعة شعرية. وقد حصل وان صدرت هذه المجموعة باللغتين العربية والهولندية في العام ,١٩٩٧ بدأت الدعوات للمشاركة في الاماسي الشعرية تزداد، واصبح اسمي معروفا لدى بعض الاوساط الادبية واخذت الصحافة تجري معي المقابلات بين حين واخر. لم يكن اهتمام الصحافة بالطبع منصبا فقط على موهبتي الشعرية ولكن لكوني قادما من بلد مزقته الحروب العبثية جراء تهور وطيش الدكتاتور، وقد صادف ان اصدر ابنه المقبور (عدي) قائمة بأسماء المثقفين العراقيين المرتدين وكان اسمي ضمن هذه القائمة، اذ كنت في تلك الفترة انشر وبشكل اسبوعي في الصحف العربية الصادرة في لندن مقالات تندد بالنظام العراقي وقمعه للمثقفين ودوره في استمرار الحصار.

لقد كانت هذه الفترة واحدة من اقسى فترات حياتي، فأضافة الى ورود اسمي في قائمة المرتدين التي تعني ان افراد عائلتي سيطالهم القهر والسجن ان لم يطلني هنا في هولندا.. فقد علمت ان والدي واختي الكبيرة وابنتها كلهم قد ماتوا تباعا بسبب نقص الدواء. لقد كانت حالتي النفسية متدهورة تماما حتى ان شعري بدأ يتساقط، وازدادت سوءا حين عادت الكآبة تسيطر على زوجتي المصابة بمرض الحنين الى الوطن. كل شيء اخذ يتدهور بسرعة ككرة الثلج، وتحولت كآبة الزوجة الى هستيريا وصراخ دائم اصابني بالجنون مما اضطرني ذات يوم الى صفعها على وجهها حيث ستنتهي علاقتنا الى الابد.

❖❖❖❖

توقفت عن الكتابة لمدة ستة اشهر بعد ان تناهت الي اخبار عن اعتقال احد اخوتي. كان لديه خمسة اطفال ولم يعد بأمكانهم الذهاب الى المدرسة لانهم لا يستطيعون دفع الاجور او شراء الكتب. لم يكن لديهم ما يسدون به رمقهم، فأضطررت الى استدانة مبلغ عشرة آلاف خلدن من البنك وارسلته إليهم من اجل ان يعودوا الى المدرسة. كانت عائلتي كبيرة جدا ولم يكن في استطاعتي اعالتهم جميعا، لذلك كنت احاول بين فترة واخرى استدانة مبلغ من المال وإرساله الى اكثر المحتاجين منهم، وهكذا غرقت في ديون وصلت حتى الان الى خمسة وثلاثين الف ايرو، غير اني لست نادما على ذلك، بل انني اشعر بالفخر لانني استطعت ان انقذ عائلتي في ظروف اقل ما يقال عنها انها كانت كابوسية ومهلكة وغير انسانية على الاطلاق حتى سقوط الطاغية.

لكن هذا التوقف لم يستمر طويلا، لان الاوضاع في العراق كانت تسير نحو كارثة شاملة، والتقارير التي كانت تنشرها المنظمات الانسانية كانت تثير الفزع. كنت اشعر انني بذلك استسلم واتخلى عن قضية خمسة وعشرين مليون نسمة لمصلحة عائلتي. وكان هذا الاحساس يشعرني بالضعف والدونية. لذلك قررت ان اعود للكتابة من جديد وبنشاط اكبر وانا اقول في نفسي (عائلتي ليست اهم من باقي العراقيين). كيف تستطيع ان تصمت وانت تسمع ان ثلاثمئة طفل عراقي يموتون يوميا بسبب نقص الدواء والغذاء، بينما صدام مشغول ببناء القصور؟ كيف تستطيع ان تصمت وانت تسمع يوميا ان احد اصدقائك الشعراء او الكتاب قد اعدم او سجن بسبب مقالة او قصيدة؟ (كان نظام صدام يقتل المواطن العراقي ويرسل جثته الى ذويه ويتقاضى منهم ثمن الرصاصات التي اعدم بها). كيف تستطيع ان تصمت وانت تسمع ان نظام صدام قام بوشم جباه آلاف الشبان بعلامة إكس (X) وقام بقطع آذانهم وايديهم لانهم يرفضون الذهاب الى الحرب؟

كنت يائسا ومحبطا واشعر بالغضب لان الشعب العراقي يباد ويتلاشى دون ان يحرك ذلك كله صوت الضمير الانساني في كل مكان من العالم، شعب بأسره وحضارة بأسرها يموتان على نار بطيئة بفعل ارادة الكبار. باتت الخسائر البشرية هائلة ولايمكن محوها طوال جيل او جيلين في الاقل. لماذا يتم تجاهل عذابات اطفال العراق؟ كيف نفسر ان قادة العالم يستطيعون . وهم على علم كامل بكل ما يجري..الاستمرار في فرض عقاب على هذا القدر من القسوة؟ ثم ما الهدف الحقيقي من وراء ذلك؟

حدث ان حصلت للمرة الثانية على جائزة (دنيا) الشعرية وكان ذلك في بداية عام ١٩٩٨، وقد اجريت معي الكثير من المقابلات للصحف العربية والهولندية اشرت في الكثير منها الى ما يتعرض له الشعب العراقي من ابادة جماعية على يد الطاغية، دون ان يثير ذلك احدا في العالم العربي او اوربا او امريكا. واذا كان مفهوما ان صدام قد خدع الشعب العربي بحجة وقوفه ضد اسرائيل.. فأنه من غير المفهوم ان يتواصل صمت الشعب الاوربي والشعب الامريكي على هذه المجازر اليومية التي ترتكب بحق العراقيين الابرياء. لقد اثارت هذه المقابلات والمقالات التي نشرتها في اماكن مختلفة من اوربا والوطن العربي استياء النظام العراقي، وها هي قائمة مرتدين اخرى تصدر بأسماء الادباء العراقيين (الخونة) واسمي يتصدر القائمة للمرة الثانية. لقد قررت وانتهى كل شيء، ليس لدي ما اخسره سأبقى أواصل الكتابة حتى اخر لحظة في حياتي، وسأتجه الى المسرح هذه المرة لانه اقصر الطرق الى الناس. علي ان انقل معاناة العراقيين الى الجمهور الهولندي الذي بدأ يتفاعل مع ما يحصل في العراق. وكانت مسرحية (اوهام) في العام ١٩٩٩، مونودراما عن حروب صدام القذرة، وهاهي تعرض في ثلاث مدن هولندية وتحقق نجاحا طيبا وتكتب عنها الصحافة في لندن والقاهرة وهولندا. ثم احصل على دعوة لعرضها في مسرح (رويال) البريطاني. وبعد سنة ستعرض في موسكو والبحرين ولبنان.

لقد اكتشفت بعد سنة من ذلك، واثناء مشاركتي في مهرجان الرباط الشعري الخامس في المغرب، ان بعض السفارات العراقية في الخارج تمارس ضغوطا على المؤسسات الثقافية العربية من اجل منع أي نشاط عراقي معارض لصدام على اراضيها، وقد حدث هذا في المغرب حين حضر المستشار الثقافي العراقي في السفارة العراقية الى اتحاد كتاب المغرب وقال لهم بغضب: (لماذا توجهون الدعوات الى الشعراء العراقيين المعارضين فقط)؟!، والاغرب من ذلك ما حدث لرئيس تحرير احدى الصحف المغربية، التي اجرت معي حوارا في الفترة ذاتها تحدثت فيه عن معاناة المثقف العراقي في داخل الوطن... كان رئيس تحرير هذه الصحيفة يدعى سنويا لزيارة العراق ايام مهرجان بابل، ولكن بعد ان نشر معي هذا الحوار جاءه احد العاملين في السفارة العراقية وسحب منه الدعوة وقال له: (انت غير مرحب بك في العراق بعد الان)!!، وقبل ان اعود من المغرب الى هولندا بعد نهاية المهرجان، يفاجئني احد الاصدقاء الشعراء المغاربة بجريدة عربية تصدر في لندن وفيها قائمة مرتدين جديدة وتحتوي هذه المرة على اسماء ثلاثمئة وخمسين مثقفا عراقيا مرتدا يحتل اسمي فيها المرتبة الثانية.. هل انا شاعر خطير الى هذه الدرجة؟

ما زمني.. وما تاريخها!؟

خليل الأسدي

كلُّ الفناءِ لها..
لملكةٍ تآكلَ عرشُها..
وتمردَتْ فيها الحجارةُ..
والتواريخُ البعيدةُ..
والطفولةُ وهي تتركُ بابَها للريحِ مفتوحا..
كلُّ الممالكِ في يديها..
تحت تلك الشمس..
ما زمني..
وما أوقاتُها..؟!..
كانت مصاريعُ النوافذ فوق مائدةِ الطعامِ..
ودَمُ شيءٍ من عصاراتِ النبيذ
يسيل من شفةِ التماثيلِ الحزينة
وجهها التمثالُ شمعٌ تحت تلك الشمسِ..
أوقاتُ الأنوثة لم تزلْ في الخمر..
أوقاتُ الخمورِ تعتّقت..
وتناسلت في الريحِ رائحةُ المساءْ..
وكأنها تجلو أنوثتَها..
وتصقلُ كأسها..
. كأس النبيذِ ...
بثوبها الرثِّ القديمِ..
أصابعُ مسروقةٌ..
وفمٌ يعبُ الخمر..
ما تعبي..
وما آثامُها؟!..
كلُّ المزاميرِ التي نفختْ بها تلك الرياحُ عويلها..
تجتازني لفمِ الصباحِ..
صباحها المنفيِّ من صدأ الدقائقِ..
وهي تعدو كالزاحفِ فوق رملِ الوقت..
ما وقتي..
وما أزمانُها؟!..
محطّةُ التاريخِ..
وامرأةُ الغبارِ..
عبارةُ الجملِ الركيكةِ في كتابِ الوقتِ..
ما كتبي..
وما أقلامُها؟!..
في عزلةِ الملكاتِ..
في صخبِ الملوكِ..
وفي دوارقَ أُترعتْ بدمِ الغزالِ..
دمِ البراري والجبالِ..
دمِ القصيدةِ حينَ تطعنُ بالنصالِ
دمي وقد شربتْ خلاصتَه الرمال..
كلُّ الطفولةِ في تجعدِ روحها..
تلك العجوز..
لن تزين ليلها..
ما ليلها المخمور..
ما صحوي أنا..
في ليلةٍ ضجتْ بموسيقى الرعاع؟!..
تجردي من سطوةِ التاريخ فالماضي سدى..
والريحُ تعبثُ بالستائرِ..
والنوافذُ تشرئب..
لمن؟!..
لماذا؟!..
نحو أيِّ عبارةٍ مكتومةٍ يسعى الكلامُ؟!..
لمن؟!..
لماذا؟!..
خيطُ رائحةِ المكانِ..
. تذكريه جيداً..
فالوقتُ يصدأ في ثيابكِ..
في غموضك..
في السريرِ الرثِّ
في الشعرِ الذي عبثتْ به ريحُ المواسم..
تحت تلك الشمس..
فوقَ الرملِ..
قربَ البحرِ
ما كهفيَ القديمُ..
وما تسمرها هنا..
المومياء..
حجارةُ الجسدِ المفتتِ في توابيت الملوك..
قديمتي العنقاء..
ما زمني..
وما تاريخها؟!...

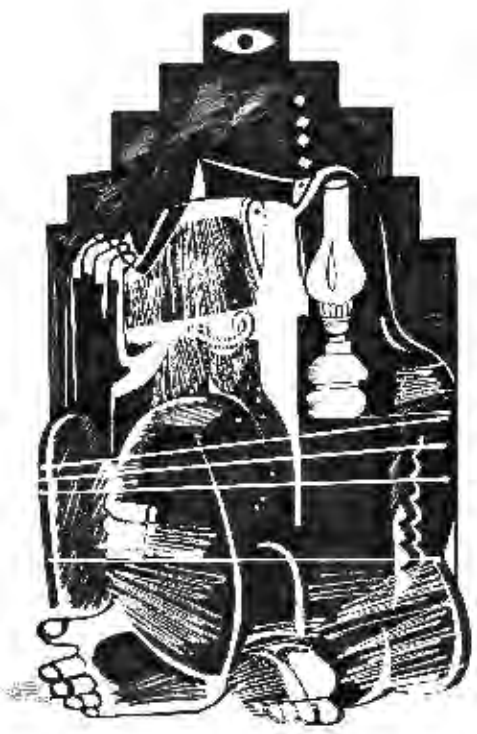

ثوريون وموتى ومشاجب حب

قاسم مطرود

يذكر لنا الناقد " يان روتزر " في مقدمته لمسرحية " (أصحاب المفاتيح) تأليف " ميلان كونديرا " ترجمة " سليم الجزائري ". مفهوما عن مسرحية الفصل الواحد " من وجهة نظر المتفرج يعني هذا مشاهدة مسرحية بدون استراحة، أما من وجهة النظر الدرامية، فيعني تتبع حدث واضح مترابط . لا ينقطع منذ البداية حتى النهاية . من خلال الحفاظ على وحدات المكان والزمان والحدث في النطاق الواقعي للمسرحية "

وضمن هذا السياق جاءت مسرحية (أصحاب المفاتيح) والتي أعلنت البداية عندما رن جرس الهاتف . ذلك الرنين الذي شكل العمود الفقري للحدث، فقد وضعنا أمام تساؤل مهم كما تساءل في الوقت نفسه أبطال المسرحية أيضا . ولكن ظل الأمر ملتبسا من اجل استمرار اللعبة بين المرسل والمرسل إليه.

يرجي: " والسماعة إلى أذنه " نتشاص يتكلم " بدهشة متضايقا " من؟ الآن حالا " كما لو دافع عن تهمة " ما هذا الكلام؟ إني فقط أسال إن كان الآن حالا ؟

الينا: أين تريد أن تذهب بهذه الملابس..... أتعرف ما قاله الأب عنك . قال أنت لست حذرا..... الأفضل لو رافقتني إلى حصة الباليه . أنت لا تخرج معي مطلقا..... وبعد فلا تنزعج لو رافقني غيرك.

ضمن هذين الحوارين أعطى كونديرا بعض المفاتيح لماهية النص ومسار الشخصيات والكيفية التي ستسير عليها الشخصيات الأخرى. فان " يرجي " البالغ من العمر ٢٧ عاما والذي درس المعمار . كان يحلم ببناء المدن والطرقات الغاصة بالحرية، إلا أن ذلك الطالب المتوقد الذكاء لم يستطع إكمال دراسته لظروف قسرية هي الأخرى ظلت سرا حالت من دون ذلك الحلم.

وشخصية " الينا " زوجته ٢٠ عاما لم تحلم بسوى أن تكون راقصة باليه كي ترتفع أصابعها عن الأرض بعض الشيء.

. الينا: لو كنت ساعة لتعمدت السير خطأ.

اليوم هو يوم الأحد يوم عطلة وعند رفع الستار سيكون الوقت صباحا . حوالي الساعة السابعة والنصف، الجميع لديهم برامج. إلينا تود الذهاب إلى حصة الباليه وكروتا الضابط المتقاعد الذي جمع ساعاته المتوقفة ويرجي الذي يريد النوم فقط. لكن الحدث لا بد من أن يأتي ويغير كل هذه المسارات فما أن رن الهاتف حتى تحول المنزل إلى خلية نحل قد لعب احدهم في نظامها الكوني.

لقد بث كونديرا الكثير من الشفرات عبر شخوصه لذا فنحن أمام نص مسرحي ليس من السهل فك تلك الرموز وتأويلها تأويلا بسيطا، فان قلنا أن دفة النص تنحو نحو العلائق السايكلوجية عبر ارتباط يرجي بالينا أو " فيرا كونتشنا " زميلته بالجامعة . أم أننا نترك هذه المسارات ونبقى ندق على المسمار الأول الذي بان في بداية النص حين صدحت عبر الشباك المفتوح معزوفات موسيقية على الطبول والمزامير التي جاءت من الاستعراضات العسكرية للمستعمر الألماني النازي " للجيك ".

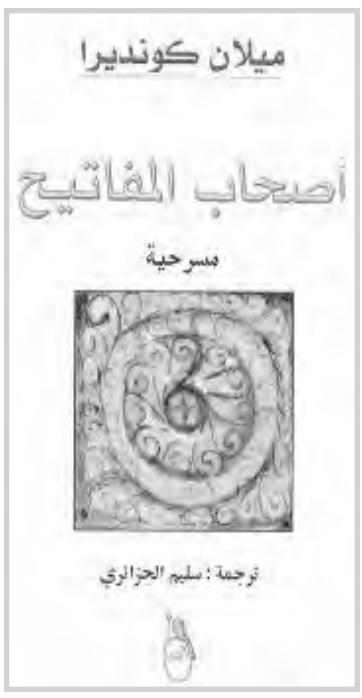

. كروتا: أوغاد..... يستقدمونهم من كل صوب. المهم أن يتم الاستعراض.

أو أننا نتأمل العنوان ونقف متسائلين ونقول من هم أصحاب المفاتيح؟ وماذا تعني نهاية المسرحية حين يعلن كروتا.

. كروتا: كيف؟ ألا تدركان ما معنى هذا؟ ألا تدركان أن هذا ليس استسلاما؟ فان المفاتيح تعني أكثر من مفاتيح.. أقول: أننا اليوم قد ربحنا معركة عظيمة.

إلا أن شخصية يرجي هي الشخصية المحورية والتي يمكن الوقوف عندها طويلا من اجل معرفة سير العلائق وتاريخ ذلك الوطن " الجيك " في فترة الاحتلال. لقد حلم الشباب بالحياة والصورة الأجمل للحب. لكن الحلم الأكبر كان هو التخلص من الاحتلال. وهنا في مسرحية أصحاب المفاتيح تطرح المفاهيم الكثيرة في كيفية التعامل مع المحتل كما أعطى تفسيرا ومفهوما آخر للفداء والوطنية ومحبة الوطن.

كل هذا يبرز في ملامح ذلك الشاب المثقف الذي يحب وطنه ويكره المستعمر وفي الوقت نفسه يحب الحياة ويكره الموت.

. يرجي: أردت أن أعيش وأبقى حيا يا تونيك..... الموت دائم الحضور.

وعبر هذه الشخصية يطرح كونديرا . مفهومه الخاص بفلسفة الموت، والعلاقة ألحقة بيننا وبين الوطن ومن يعيش من اجل من؟ . أيفنى الوطن من اجلنا أم أننا نعيش من اجله وما معنى هذه الكلمات التي طرحتها الحركات الثورية والتيارات التي تشوبها العاطفة . أين يقف الموت من كل هذا وذاك.

. يرجي: أنا لن أحيا لأجل ما هو غير موجود. وما هو الوجود في نظر يرجي المثقف . أهي الزاوية التي كان ينظر عبرها ويعتقد أنها الوطن أم علاقته العاطفية السابقة بفيرا

وقوة شخصيتها التي دفعته لان يكون الصورة الثورية لهذا الوطن أم عبوديته إلى جسد زوجته الينا دفعه إلى أن يلفظ الموت ويتشبث أكثر بالحياة.

ما الذي أراده كونديرا هنا . الرضوخ إلى رغبات الحياة و متعها لأنها حق لنا لابد من النيل منه.

. يرجي: " يدنو إلى الينا " إذا كان النوم ملكا فهذا الجسد هو قيصر روما.

ولكن رغم هذا التشبث بالحياة إلا أن جزءه الآخر يجره إلى ما هو ثوري، إذ صار كل شيء يتساقط أمامه.كروتا ذلك الرائد المتقاعد صار يخاف من سلاجك ذلك البواب الذي كان جنديا يأتمر بأمر كروتا . الوطن كله تحول إلى ثكنة عسكرية . الحب فقد شفافيته والكلمات لم تكن تحمل المعنى نفسه، لقد غير الاحتلال جل الصور ومعانيها.لهذا يجره نصفه الآخر إلى التمرد ليكون الموت بالنسبة إليه سهلا ومعبرا حيا.

يرجي: قلما يكون الموت مفيدا. يكفي أن أموت بشرف.

لقد سجن كثيرا وتعرض إلى التعذيب وقد اغتصبوا زوجته أمامه واستغاثت به كثيرا إلا أن ضابط الغستابو أختلى بها وهي تصرخ.

قد نقرن الينا أحيانا بالأرض " الجيك " فهي جميلة وتحب الموسيقى والباليه ولا تحلم بشيء آخر . ولكن ضابط الغستابو واقعها رغما عنها . هكذا كان شباب " الجيك " كانوا ينظرون بعيون دامعة إلى كيف تدوس الدبابات والجرافات شوارعهم وتهد مدنهم وهم ينظرون فقط. وأحيانا ينتفضون ليصعدوا إلى الجبال.

إنها جملة من الرموز ربما أرادها ميلان كونديرا أن تكون كذلك أو لم يعن ذلك مطلقا . ولكن لا حيلة لنا إذا قادتنا شفرات النص إلى الشيء ونقيضه.

. الينا: أنت تقف مثل قديس فوق جدول ماء اخرق . أنت قديسي يا اخرق.

(أصحاب المفاتيح) تبدو للوهلة الأولى أو القراءة السريعة ان شخصياتها وأحداثها ليست لها مفاتيح تمكننا ان الدخول والتمعن وما أن نعيد قراءتها حتى نجد الكثير من المفاتيح قد ألقيت أمامنا ما يدخلنا في الصعوبة نفسها في الاختيار الأمثل للمفتاح الصحيح للحدث.

فإننا نمسك المفتاح الأول الذي أحالنا إليه ألا وهو بداية المسرحية الذي كان يوم الأحد. ورنين الهاتف . وموت سلاجك ذلك البواب الذي سنأتي على ذكره وأحلام الينا وتحولها إلى قيصر أمام يرجي وجسد وشهوة أمام ضابط الغستابو.

كما طرح التصور القديم لمفهوم التحرر الثوري عبر شخصية كروتا تلك الشخصية التي يجب الوقوف عندها قليلا لأنها تمثل جزءاً من تاريخ الوطن وعنفوانه. والتصور الجديد لمفهوم الثورية عبر نموذج يرجي الذي يؤمن بالاستمرار وبالتواصل مع حب الحياة الذي هو وحده التعبير الحقيقي عن التضحية.

حقا بين أيدينا سلسلة مفاتيح وليس من السهل أن نجد المفتاح المطلوب لكل شخصية قد تحركت وحركت الحدث.

لنفتح شخصية سلاجك التي يمر عليها النص سريعا ولكنه يشكل حلقة مهمة في تطور الأحداث وبناء النص فقد كان في عهد الجمهورية الأولى . عسكريا برتبة " رقيب " تحت إمرة كروتا وكان سلاجك أدنى منه مرتبه وتابعا له في حين أن كروتا كان بالنسبة لسلاجك " رتبة " كبيرة وما أن انهزم الجيش الجيكي أمام زحف الجيش الألماني انتهى مفعول هذه الرتب وتغيرت المناصب وانضم سلاجك إلى جانب الألمان المحتلين مدعيا انه ألماني الأصل وقد سمح له بحمل سلاح.

. سلاجك: للشعب الألماني اليوم مشاغل كثيرة . وعليه فلن يستطيع مطلقا السير وراء الآخرين حاملا خرقه في يده.

ومن هنا تحولت الأدوار إذ صار سلاجك ممثلا للقوة ورمزا لها . وضاعت رتبة كروتا وخبا صوته أيضا وتغير موقع من يصدر الأوامر . بل انقلب الأمر تماما.

. كروتا: المهم الآن أنني لست كروتا فحسب بل ورأس العائلة أيضا وليس سلاجك هو سلاجك فحسب بل ورأس البناية أيضا . وهذه الرتب لابد من أن تحترم في كل عهد.

ربما يكون موقف كروتا موقفا انتهازيا أو هكذا كانت ثقافته فقد تربى على طاعة أوامر من هم أعلى منه رتبة، بل يعتبر هذا مقدسا ولا جدل فيه . وربما خوفه على حياته دفعه إلى أن يطيع سلاجك وينفذ أوامر زوجته.

إن موت سلاجك يغير مسار النص المسرحي ويدخلنا في حدث آخر ومواقف لم تعهدها الشخصيات . فقد اضطر يرجي الى أن يرمي سلاجك بالحجر ويرديه قتيلا لأنه تابع "فيرا " وحاول اعتقالها واستجوابها وهنا تغيرت ردود الأفعال لان جثة سلاجك ستكون شاهدا على ثورية يرجي وخوف كروتا وتحدي فيرا وارتعاشات الينا وأمها والشعور بالنصر ممزوجا بالتسرع باتخاذ القرار.

هكذا قذف بنا كونديرا بعد مقتل سلاجك وجعل المفاتيح ترتطم بعضها ببعض . إذ تطرح لنا شخصية كروتا مدخلا مهماً في مفتتح المسرحية حين ينشغل بملء الساعات فهو يحوي مجموعة من الساعات التي يحاول أن يملأها لكي يجعلها تدق جميعا في وقت واحد . هذا هو كروتا الذي فقد فصيله العسكري وغيره بالساعات ولأنه لا يستطيع أن يعيش من دون آمر ومأمور لذا تعامل مع الساعات.

. كروتا: لو أنني أوفق مرة واحدة فقط . واجعلها " تدق " سوية..... تظن العقارب أن بامكانها التسكع عبر القرص كما تشاء.

هذا هو الضابط المتقاعد الذي ينهي المسرحية بقوله سابق الذكر

. كروتا: إلا تدركان أن هذا ليس إلا استسلاما؟ فالمفاتيح تعني أكثر من مفاتيح.. إننا اليوم قد ربحنا معركة.